سلوكيات خاطئة نمارسها مع أبناءنا

لم نكن نريد بنتاً رابعة .

لم يزل هذا القول يعلق فى ذهن إيمان ، منذ أن سمعته وهى صغيرة من أبويها ... لقد كان يسبب لها ألماً شديداً ، كانت تحسّ أنها غير مرغوب فيها ، لقد أفقدها هذا القول كثيراً من الثقة بنفسها وكان سبباً لكثير من المتاعب ، فقد كانت تخشى الإقدام على أى عمل خوفاً من الفشل ، لقد أحست أنها جاءت إلى الدنيا ولم تحفل بحسن الإستقبال ممن حولها ، لقد كانت تشعر بالغيرة من أقرانها والحقيقة إن هذه المشكلة يقع فيها كثير من الآباء والأمهات عندما يرزقهم الله بإبنة بعد بنات وقد كانوا يتمنون الولد الذكر ، أو العكس ، ويكون نصيب الولد أو البنت التى جاءت على غير رغبة الوالدين أقل بكثير من أخواتها من حيث الحب والإهتمام والعناية والرعاية .

ومن المعلوم لدى الجميع أننا لا نختار نوع الأبناء ، فالله سبحانه وتعالى هو العليم الحكم هو الذى يختار ، فيهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ، فعلينا أن نحمد الله تعالى على ما رزقنا سواء ولد أم بنت ، ولنعلم أن هذا لحكمة يعلمها الله تعالى ، فلا نغضب ولا ننفعل ولنرضى بقضاء الله ولنحمد الله تعالى على ما رزقنا ، فهناك من لا يجد ولداً ولا بنتاً ، ويذهب هنا وهناك ويحتار بين الأطباء بلا جدوى ، فالحمد لله رب العالمين .

... من الفشل :

لقد كان هذا القول سبباً لكثير من المشكلات التى كانت تحدث لعبد الرحمن حيث أن أمه كانت دائمة الخوف عليه ، فكان خوفها كثير ما يمنعها من السماح له بمشاركة زملاءه فى بعض الأعمال ، كما كانت لا تكلفه

أعمالاً معينة خوفاً عليه من عدم القيام بها حق القيام ، وإحساسه بالفشل فيها ، إنما تحميه من الفشل اليوم - حيث فشله لا قيمة له - وتسبب له فشلاً ذريعاً فى مستقبل حياته حيث هناك الفشل الحقيقى والنجاح الحقيقى .

يجب ألا نتهيب من فشل أبناءنا فى بعض الأعمال أو عدم اتقانها ، علينا أن ندعهم يعملون ونساعدهم ونوجههم ونشجعهم ، عندئذ نغرس فيهم الثقة بأنفسهم ونعودهم عدم الخوف من الإقدام على الأحداث ومواجهتها ، وإذا كان هناك عمل نحن متأكدون أن الطفل لن يستطيع القيام به وفشله متحقق فيه بنسبة مائة فى المائة ، فعلنا أن نقنعه أن يغير هذا العمل ، ونحاول بذكاء أن نجعل هذا العمل لا يحدث كما يريد الطفل حتى لا يصدم عند عدم تحققه ، أما فشل الطفل فى بعض الأعمال بنسبة معينة فعلينا أن نتجاهله ، بل نمدح فيه نجاحك بتلك النسبة ونقول له « وفى المرة القادمة إن شاء الله سوف تعمل هذا بنسبة كبيرة وسوف تنجح فيه نجاحاً باهراً » .

إننى أريد له مستقبلاً أفضل :

خلف هذه الكلمة تختفى طموحات شخصية للوالدين ، أنهما يريدان أن يعوضا النقص الذى فيهما فى ذلك الطفل الصغير ، لقد كان الوالد يتمنى أن يكون طبيباً ، فهو يدفع ابنه نحو حب العلوم والإهتمام بها ، ولا يبحث مع مدرس الفصل عن ميول ورغبات ابنه الحقيقية والتى قد تكون خلاف ذلك تماماً .

ليس من المهم أن يكون الشخص طبيباً أو مهندساً أو غيره ، المهم أن يكون ناجحاً فى حياته راضياً عن عمله الذى يعمله محباً له ، ومن قبل كل ذلك طبعاً يحوز رضى الله سبحانه وتعالى ، فلا تحاول أيها الوالد من منطلق خوفك

على الطفل أن تفرض عليه مطامحك الشخصية [١] ، وتظن أن ذلك أفضل لمستقبله ، إن هذا الطفل خلق لمستقبل غير مستقبلك أنت ، ولزمان غير زمانك أنت ، فلا تقيده بأفكارك عن المستقبل والتى ربما تتغير كثيراً عندما يكبر الطفل ، ولكن ساعد طفلك فى تحديد أهدافه ، أن يحدد هو أهدافه بنفسه ، ساعده فى ذلك وفى تحقيق النجاح فيها ، عليك فقط إبداء النصح والإرشاد له ،لكن لا تفرض عليه وجهة نظرك ، وضح له فقط الإيجابيات والسلبيات ... ثم دعه يختار ويتحمل مسؤولية اتخاذ القرار حتى يشب على تحمل المسؤولية ، اجعل ابنك حراً ، مفكراً ، مبدعاً ... .

إننى أريد أن يحس ألم العقاب حتى لا يكرر الفعل السيئ :

العقاب وإن كان ضرورياً أحياناً إلا أن العقاب البدنى المؤلم بالنسبة للطفل له أضرار كثيرة ، كما أنه ليس من العدل أن نعاقب الطفل على شيئ لا يفهمه ، إنه لا يفهم لماذا يعتبر سلوكه هذا سيئاً ، وعندما يواجه بالعقاب الصارم المؤلم فإن ذلك يخلق فيه الرعب والقلق .

إننا أفضل من ذلك يجب أن نبحث للطفل عن سلوك آخر بديل عن سلوكه السيئ ، هذا السلوك يكون بمثابة العوض عن السلوك السيئ ، حتى إذا تقدم الطفل فى السن ووصل إلى مرحلة المراهقة فإنه عندئذ يستطيع أن يفهم السلوك وعندها من الممكن أن نعاقبه العقاب المناسب عند الخطأ ، مع اقتران ذلك بجعله يفهم السبب وراء العقاب وما قد ينتج من آثار سيئة نتيجة سلوكه ذلك الذى يعاقب عليه .

والذى نريد أن نوضحه هنا أن العقاب الصارم والمؤلم الذى يتخذه البعض

---

[١] ، كتاب « لماذا ينحرف الأطفال » مصدر سابق .

وسيلة من وسائل التربية إنما هو وسيلة فاشلة لا تؤتى ثمارها ، بل قد تؤدى بالطفل إلى الانحراف الخلقى وأن يتصف بصفات سيئة مثل الجبن والكذب .

يقول مؤسس علم الاجتماع ابن خلدون :

« إن من يعامل بالقهر يصبح حملاً على غيره ، إذ هو يصبح عاجزا عن الزود عن شرفه وأسرته لخلوه من الحماسة والحمية على حين يقعد عن إكتساب الفضائل والخلق الجميل ، وبذلك تنقلب النفس عن غايتها ومدى انسانيتها » .

ويقول أيضاً : « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين ... سطابه القهر ، وضيّق على النفس فى انبساطها ، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل ، وحمله على الكذب والخبث خوفاً من انبساط الأيدى بالقهر عليه ، وعلمه المكر والخديعة ، ولذلك صارت له هذه عادة وخلقاً وفسدت معانى الإنسانية التى له » [(١)] .

وخير للوالد أن يربى طفله على احترام كلامه وتنفيذه من غير اللجوء إلى الضرب أو القسوة بل تكفيه الإشارة أو النظرة ... وعلى المربى الوالدة أو المربية الأم أن تفرق بين أحوال الطفل وبين ما يحتاج للعقاب الشديد وما يحتاج لمجرد الإشارة ، فلا تستوى الأفعال حتى السيئة ، فمنها الصغائر ومنها الكبائر ، والأفضل الإبتعاد مطلقاً عن العقاب البدنى المؤلم كما ينصح بذلك معظم علماء النفس والتربية .

انه أبشع أنواع ...

تنطوى خلف هذه الكلمة كثير من المشكلات التى تستعصى عن الحل ، والتى السبب الأساسى فيها هما الوالدان !! ، فإن التدليل الزائد عن الحد

العلاقة ، ابن خلدون فى مقدمته نقلاً عن كتاب « تربية الأولاد فى الإسلام » عبد الله ناصح علوان .

والذى يقوم به الأب أو الأم للإبن الوحيد أو للبنت الوحيدة ، إن هذا التدليل سبباً كبيراً لكثير من المشكلات النفسية التى يعانى منها الأطفال ، ليس هذا فحسب إنما هو يدفع الطفل إلى عدم الإكتراث بتهديد الوالدين ، وعدم الإنصياع لأوامرهما ، لأنه يعلم مدى تدليل والديه له ، وشعور الطفل بأنه مدلل ، هذا الشعور من الخطورة بمكان على أخلاق الطفل اليوم وفى المستقبل ، وليس نهينا عن ضرب الطفل ضرباً مؤلماً مؤذياً يعنى تدليله تدليلاً زائداً عن الحد ، فربما تكون الآثار المترتبة عليه أكثر من الآثار المترتبة على ضربه ، فلا يخدع الوالد نفسه بأن هذا ابنه الوحيد ولا ينبغى إيذاءه فيترك له الحبل على الغارب ، ولكن عليه أن يتعامل معه حسب أحواله ، فإن كان فعله يحتاج الشدة فليشتدّ معه ، وإن كان يحتاج الوعظ والزجر فليعظه وليزجره ، وهكذا بحسب أحواله وليس الحب معناه أن نتركه يفعل ما يشاء كيفما يشاء ، أو نفرق بينه وبين إخوته حين يكون الولد الوحيد مع أخوات بنات أو العكس ، وفى الحديث : « اتقوا الله واعدلوا بين أولادكم » [١] .

عندما تكبر يا بنى سوف أخبرك ! :

هذه الكلمة رغم بساطتها فإنها لا تعنى شيئاً بالنسبة للطفل عندما يسئلك سؤالاً محرجاً ، فلا تستطيع الرد عليه ، فنقول له : سأخبرك عندما تكبر ، أو سوف تعرف عندما تكبر !!! .

الطفل عندما يسئلك عن شيئ ما فإنه يحتاج إلى تفسير لما يحدث حوله ، ولا يقصد المعنى الذى يمكن أن تفهمه أنت ، إنه يسألك حباً للإستطلاع ، لمعرفة ما يحدث حوله ... إن هروبك من أسئلة الطفل يمثل عائقاً كبيراً أمام

---

[١] رواه البخارى .

تقدم الطفل كما أنه يمكن أن يلجأ إلى آخرين حتى يحصل منهم على إجابات شافية لما يدور حوله ، وأنت لا تضمن إجابات الآخرين فقد تكون مضللة أو غير سليمة ، وبالتالى ينشأ عند الطفل أفكار خاطئة عن الأشياء تظل معه فترة طويلة وقد لا يستطيع التخلص منها بسهولة .

أمثلة لبعض أسئلة الأطفال والإجابات عليها :

قد يسأل الطفل الوالدين عن الموت ، وما معنى أن فلان قد مات ؟!! .

وأفضل إجابة للطفل عن الموت هو أن نقول له : « إن الموت هو النهاية الطبيعية فى الدنيا لكل الأحياء وأنه نهاية الحركة والإحساس » .

هذه الإجابة رغم بساطتها فإنها تشبع رغبة الطفل ، قد تقول إن الطفل لا يفهم الموت أو لا يعرفه ، نقول : نعم هو لا يفهمه ولكنه يعرفه جيداً ، إنه يراه فى موت الحشرات أو بعض الحيوانات والطيور ، وكل ما يريد أن يعرفه هو أن يدمج الموت من الناحية الطبيعية فى فكرته عن طبائع الأشياء ، والإجابة السابقة تعطيه هذا المعنى .

إذا مات قريب للطفل فعندما يسأل عنه فلا يجب أن نحيّره، ونحاول حجب الحقيقة عنه وإنما لنقل له الحقيقة ، فالقصص الملتوية عن الموت والتى تستهدف حجب الحقيقة لا تولد فى نفس الطفل إلا الحيرة والقلق .

وإذا سأل الطفل عن الحياة بعد الموت فيجب أن نجيبه بصراحه عنها ، وأنه بعد الموت إذا كان الإنسان طيباً صالحاً فى الدنيا يكون فى الجنة إن شاء الله ينعم فيها ما يشاء ، وإذا كان سيئاً وغير صالح فإنه يكون فى النار وبئس القرار ، ولا نقول أن هذه المعانى بعيدة عن الطفل ولن يفهمها ... كلا إنها تكون أفكاره واعتقاداته التى لن نستطيع تغييرها فيما بعد ، فإن كانت خاطئة أو غير صحيحة فالطفل سينشأ عليها ويعتقد فيها .

يقول د / لوثر ودوارد : « إذا سأل الطفل عن الحياة بعد الموت جاوبه بصراحة عما تعتقد » (١) .

وقد يسأل الطفل : كيف جاء أخى الصغير إلى الدنيا ؟!! فلا تختار أو تحاول أن تجاوب إجابة فلسفية ، بل جاوب ببساطة أنه جاء من بطن « ماما » ، إذا سأل كيف ؟ فأخبره أنه وُلد كما تلد القطة ، ويمكن أن يشاهد الطفل « فيلم كارتون » مثلاً ويرى كيف أن القطة تلد أو الماعز أو غيرها من الحيوانات ، وبالتالى تقترب إليه الفكرة أكثر ويستطيع فهمها .

يقول د / جولويس شوارتز : « الطفل لا يحتاج سوى إجابات مبسطة وشافية غير متفلسفة ... يجب على الآباء أن يقرأوا الكتب المختلفة عن الأطفال ليس من أجل استخلاص الحقائق لتقديمها للأطفال عند سؤالهم ، ولكن من أجل توسيع المعلومات والآفاق التى تمهد لدراسة الأطفال وفهمهم فهماً صحيحاً (٢) .

وقد يسألك الطفل عن الزواج : لماذا تزوج فلان وفلانة يا أبى ؟!! ، وماذا يفعلان بعد الزواج ؟!! .

فتجيبه قائلاً : إنهما يابنى تزوجا لأنه يجب أن يتزوج الرجل عندما يكبر وتتزوج المرأة ، وذلك حتى ينجبا أولاد صغار « حلوين » مثلك أنت وإخوتك ، وإنهم يعيشون حياة سعيدة مثلما نعيش نحن ، الأب يعمل ، والأم تطبخ وتغسل وتراعى الأطفال ، إنه بهذه الإجابات البسطية يستريح ولا يشعر بالقلق أو الحيرة ، ولا تشعر الطفل بالحيرة عندما تجاوبه أو أنك قلق أو متضايق من أسئلته ، فهذه الأسئلة طبيعية عند الأطفال .

---

(١) عن كتاب « طفلك بين الثانية والخامسة » .
(٢) المرجع السابق .

حديث الغذاء

يرجع الوالد من عمله ليستريح ، ويجلس مع زوجته وأولاده يتناولون الغذاء، وينفتح الأب فى الحديث مع الأسرة ، ليحكى بعض ما حدث له فى العمل وفى الحياة خارج البيت ، وكثير مما يحكيه الزوج « الأب » يؤثر فى شخصية الأبناء ...

ولتقريب الموضوع نذكر بعض الأمثلة :

* كانت الأسرة تتأهب للسفر والعودة إلى الوطن بعد عام قضوه فى إحدى الدول الخليجية ... وأخذ الوالدان يتجاذبان أطراف الحديث وهما يتناولان الغذاء مع الأولاد ، وقال الوالد لزوجته : لا تنس أن تضعى جهاز « الڤيديو » – الذى اشترينا – وسط الملابس فى الشنطة الكبيرة ، وذلك حتى لا يراه رجال الجمرك فى المطار .

وبغض النظر عن شرعيّة هذا الموضوع عن عدمها ، فإن هذا الفعل ربما يكون قد مرّ بسلام بالنسبة للأب – بينما هو لم يمرّ بسلام بالنسبة للأولاد ، فإن الأولاد قد أخذوا درساً عملياً جيداً فى الغش والخداع ، وحجب الحقيقة ، هذا الدرس لا يمحيه أو يغيّره كلمات الأب الكثيرة عن الأمانة ، وفلسفة الأب عن الحلال والحرام قد لا يفهمها الأطفال جيداً ، لكنهم يفهمون شيئاً واحداً ، هو أن الذى استطاع أن يغش أو يخدع أحداً مرة واحدة ، فإنه يستطيع أن يعمل نفس العمل مرات ومرات ، وأن الأب قدوة وما فعله هو الصواب ، ولا حرج فى تقليدة حتى لو أنكره الأب بلسانه بعد ذلك .

* السيدة الفاضلة أم عبد الله كانت تتناول الغذاء مع زوجها وأولادها ويبدو أنها كانت متضايقة كثيراً من جارتها ، فانطلقت تشتكى لزوجها

فقالت : « جارتنا فلانة إنها ثقيلة جداً ومهملة ، لقد طلبت منى اليوم مفتاح « أنبوبة البوتاجاز » فقلت لها : إنه قد ضاع ولم أجده ،صراحة إنها تأخذه كل مرة وتؤخرة عندها ، فلتشترى لها واحداً ، إنه رخيص ، وهى ليست فقيرة ... » .

مثل هذه الكلمات البسيطة والتى تعتبرها الأم مجرد شكوى من الجارة ، إلا أنها دروس هامة لكن ضارة وغير مفيدة بالنسبة للأولاد ، حيث أن الأولاد قد تعلموا منها الغيبة والكذب ، وعدم التعاون مع الآخرين ، وإن كلام الأم السابق عن الصدق وعدم الكذب ، قد محاه هذا الفعل الذى تعتبره تافهاً ... .

* السيد عبد الباسط جاء يلهث ودخل البيت ، وأخذ يتناول الغذاء ويحدث زوجته كيف أنه استطاع أن يتوارى من صديقه فلان حينما قابله فى الطريق ، حتى لا يطالبه بالدين الذى عليه قائلاً لها : إنه غنى جداً ، فليصبر علينا إلى أجل آخر ... إن المسألة عنده ليست مسألة أن الوفاء بالدين واجب طالما أن الإنسان يستطيع سداده ، إنما طالما أن الرجل الذى له دين ميسور الحال ، فلا بأس من المماطلة ... ونسى حديث رسول الله ﷺ : « **رحم الله رجلاً سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا اقتضى** » .

بهذه الكلمات التى ذكرها الأب أعطى درساً غير مباشر للأولاد بعدم الوفاء بالوعد وإساءة استعمال عطف الآخرين ومحاولة هضم حقوق الناس .

هذا كله طبعاً من آثار التربية الغير مباشرة للأطفال والتى ربما تكون أعمق أثراً من التربية المباشرة بالموعظة وبالكلمة أو بالتهديد والعقاب وغيرها ، هذا وقد نهى رسول الله عن الكذب على الأولاد حتى لو بشيئ بسيط مما يعتبره الإنسان تافهاً .

فعن عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا فقالت : تعالى أعطك ، فقال لها رسول الله ﷺ : « **ما أردت أن تعطيه** ؟ » ، قالت : أردت أن أعطيه تمراً ، فقال لها ﷺ : « **أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبه** » (١) .

لأن الذى تعود أن يكذب على ولده ربما يكذب على غيره ، فضلاً عن الأثر السيئ المباشر الذى يعود على الطفل من جراء مثل هذه الأفعال .

ازدواجية المعايير :

تنتاب الطفل حيرة شديدة حينما يقع فى تباين وجهات النظر حول سلوكيات الطفل بين الأب والأم ، فالأم تقول للطفل لا تفعل كذا ، إنه شيئ سيئ أو قبيح ، ويأتى الأب ليمتدح نفس الفعل !! .

لابد أن يتفق الوالدان فيما بينهما على طريقة تربية الطفل وعلى اتحاد المعايير التى يقيسون بها الأفعال ، فإذا كان ثمة اختلاف فى وجهات النظر فلا يكن أمام الطفل ، وليتفق الوالدان على شيئ واحد يواجهان به طفلهما ، فمثلاً قد تضرب الأم طفلها لأنه يسبّ الأولاد الصغار ، بينما قد يمتدح أبوه هذا الفعل لأنه يعتبره من الرجولة ، وأن ابنه قد كبر وبدأ يعاكس الأطفال ... وهكذا .

وأحياناً قد تكون الإزدواجية من ناحية السلوك نفسه ، فقد يعيب الأب أو الأم سلوكاً معيناً للطفل اليوم ويسكتان عن نفس الفعل فى اليوم التالى ، فيصاب الطفل بنوع من الحيرة ، هل هذا السلوك يرضى عنه الوالدان وهل هو سلوك حسن أم سيئ ؟!! .

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود .

إذا كان سلوك الطفل تجاه شيئ معين سلوك غير طيب فيجب أن نوقفه ولا نوافق عليه اليوم ونرفضه غداً أو العكس ، الإتفاق حول الحسن والسيئ وطرق المعالجة هام جداً .

أخوك أفضل منك :

يلجأ الوالدان أحياناً لدفع الطفل إلى السلوك الحسن عن طريق مقارنته بإخوته ، فتقول له أمه : أخوك أفضل منك لأنه يطيعنى ولا يعصى أمرى ، أو لأنه يستذكر دروسه ولا يكثر من اللعب ... وهذا أسلوب غير صحيح لتشجيع الطفل ، فإنه يخلق نوع من الغيرة بين الأبناء ، وربما تطور لشيئ من الكراهية بينهم ، ويشعر الطفل بأن الأبوين يحبان أخاه بدرجة أكبر مما يحبانه هو ، وربما يدفع هذا الشعور الطفل إلى الإنتقام من أخيه أو إيذاءه .

والأفضل إذا أردنا أن نشجع الطفل فلنقل له أنت كنت أفضل بالأمس من اليوم ، إننا نريدك أن تكون متقدماً دائماً وحسن السلوك ، فلتقارن الطفل بنفسه فى الأوقات المختلفة ، فهو بالتأكيد تارة يكون مطيعاً وتارة أخرى يكون غير ذلك ، ولنعلم أن الطفل لديه حساسية شديدة من ناحية إخوته ومعاملة أبواه لهما ، فلا نحاول أن نستأثر أحد من الأبناء بشيئ مهما كان تافهاً على الآخرين ، حتى لو بالكلمة أو بالنظرة .

فقد جاء رجل وجلس عند رسول الله ﷺ فجاء أحد أبناءه الصغار فأجلسه على فخذه ، ثم جاءت ابنة له فأجلسها أمامه ، فقال له رسول الله ﷺ : « ألا سويت بينهما ؟!! »[1] .

---

(١) رواه البزار .

التربية العاطفية فقط :

ونقصد بها التربية الغير ناقدة والتى تعتمد على الأمر والنهى والعاطفة ولا تعتمد على إثارة عقل الطفل ، ومثال ذلك أننا نقول للطفل لا تفعل كذا لأن الأولاد الطيبين لا يفعلون هذا ، أو ما شابه ذلك .

علينا أن نعطى عقل الطفل نصيبه من التربية فنوضح له لماذا يعتبر هذا الفعل سيئاً ، وذلك الفعل حسناً ، حتى نعطى للطفل قاعدة يبنى عليها بعد ذلك أفعاله ، ويستطيع بنفسه أن يحكم على أفعاله وعلى أفعال الآخرين ، والطفل يحتاج للتربية الناقدة هذه لأنه سوف يواجه فى حياته فيما بعد بتعارض فى الأخلاق يحتاج منه أن يحكم كيف يتصرف تجاه هذا التعارض ، وأى سلوك يختار ، وإن لم يكن قد تربى على استعمال العقل والتفكير بشكل جيد تجاه السلوكيات المختلفة التى تواجهه فلن يستطيع أن يحدد الإختيار تجاه هذا التعارض الذى يقابله عندما يكبر ، أو قد يحدده بطريقة خاطئة .